واجتمع له من تلك الانواع وكثرة الاتباع في اكثر اقطار الارض وتقدم مذهبه واهله
فيها لاسيما في الحرمين والارض المقدسة وهذه الثلاثة واهلها افضل الارض واهلها
ما لم يجتمع لغيره وهذا هو حكمة تخصيصه في الحديث المعمول به في فضله لك وزعم
وضعه حسد او غلط فاحش وهو قوله صلى الله عليه وسلم عالم قريش يملا الارض
علما قال الامام احمد وغيره من ايمة الحديث نراه الشافعي اي لانه لم يجتمع لقريش
من الشهرة كما ذكر ما اجتمع له فلم ينزل الحديث الا عليه وكما كشف اصحابه بوقايع
وقعت بعد موته كما اخبر ورأى النبي صلى الله عليه وسلم وقد اعطاه ميزانا فاولت له بان
مذهبه اعدل المذاهب واوفقها للسنة الغرا التي هي اعدل الملل واقومها الحكمية
العلمية والعملية ولد بغزة من عمل الشام التي توفي فيها هاشم جد النبي صلى الله
عليه وسلم على الاصح وقيل ولد بعسقلان وقيل باليمن وقيل بمنى في سنة خمسين ومائة
وهي السنة التي مات فيها الامام ابو حنيفة رضي الله عنهما وقيل انه ولد في اليوم الذي
مات فيه الامام ابو حنيفة لم يثبت ثم حمل الى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها وحفظ
القرآن وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر سنين وتفقه بمكة على مسلم
ابن خالد الزنجي وكان شديد الشقرة واذن له الامام مالك في الافتا وهو ابن
خمس عشرة سنة ثم رحل في طلب العلم الى اليمن ثم الى بغداد ثم رحل الى مالك
واقام عنده مدة ثم الى بغداد فاقام بها شهرا ولقب ناصر السنة لما ناظر اكابرها وظفر
عليهم كمحمد بن الحسن وكان ابو يوسف اذ ذاك ميتا ثم بعد عامين رجع لمكة ثم لبغداد
سنة ثمان وتسعين ومائة ثم رحل الى مصر بعد سنة واقام بجامعها العتيق الى ان
تقطب ومن الخوارق التي لم يقع نظيرها لمجتهد غيره استنباطه وتحريره لمذهبه
الجديد على سعته المفرطة في نحو اربع سنين وتوفي بها في يوم الجمعة سلخ رجب وهو
قطب الوجود ودفن في يومه بعد العصر سنة اربع ومائتين واريد بعد ازمنة نقله
الى بغداد فظهر في قبره روايح طيبة عطلت الحاضرين عن احساسهم فتركوه في قبره
وعلى قبره من الجلالة والاحترام ما هو لايق بذلك الامام وقد اكثر الناس التصانيف
في ترجمته حتى بلغوا نحو اربعين مصنفا فمنهم الامام داود الظاهري والساجي
وابن ابي حاتم والابري والحاكم والاصبهاني والقطان والتراب والاستاذ ابو
منصور البغدادي والبيهقي والخطيب البغدادي والامام الرازي وابن
المقري وامام الحرمين والدارقطني والسجستاني والصاحب بن عباد وبن الفقيه
والسبكي وخلايق ما بين متقدم ومتاخر ومن حكمه من اراد الدنيا فعليه بالعلم
ومن اراد الاخرة فعليه به وقال ما افلح في العلم الا من طلبه في القلة وقال
لا يطلب احد هذا العلم بعزة نفس فيفلح وقال زينة العلماء التوفيق وحليتهم
حسن الخلق وجمالهم كرم النفس وقال زينة العلم الورع والحلم وقال لا عيب

في العلما

في العلما اقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم فيما رغبهم فيه وقال ليس العلم
ما حفظ العلم ما نفع وقال فقر العلما فقر اختيار وفقر الجهلا فقر اضطرار وقال
المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغاين وقال من لم تعزه التقوى فلا عز له
وقال طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب الله بها اهل التوحيد وقيل له ما لك تدمن
مساك العصى قال لاذكر اني مسافر من الدنيا وقال اذا ولي اخوك ولاية فارض منه
بعشر وده واقباله الذي كان قبل وقال لا تخرج من علم الى غيره حتى تحكمه فان
ازدحام الكلام مضلة في الفهم وقال من غلبته الشهوة في الدنيا لزمته العبودية
لاهلها ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع وقال انفع الذخاير التقوى واضرها العدوان
وقال من احب ان يفتح الله قلبه فعليه بترك الكلام فيما لا يعنيه وتجنب المعاصي ومن
احب ان ينور الله قلبه فعليه بالخلوة وقلة الاكل وترك مخالطة السفها وبعض
اهل العلم الذين ليس معهم انصاف ولا ادب ومن وعظ اخاه سرا فقد نصحه
وزانه ومن وعظه جهرا فقد فضحه وشانه وقال التواضع يورث المحبة والقناعة
تورث الراحة والتواضع من اخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام وقال
ارفع الناس قدرا من لا يرى قدره واكثرهم فضلا من لا يرى فضله وقال وددت
ان الخلق يتعلمون هذا العلم وان لا ينسب الي منه حرف قال المصنف وقد اجاب الحق
لذلك فلا يكاد يسمع في مذهبه الا مقالة اصحابه كقولهم قال الرافعي قال النووي
مثلا ونحو ذلك وفي طبقات الشيخ الشعراني كان الشافعي رضي الله عنه كثير الاسقام
منها البواسير كانت دايما تنضح الدم ولا يجلس للحديث الا والطشت تحته
يقطر فيه الدم وقال يونس بن عبد الاعلى ما رايت احدا لقي من السقم ما لقي
الشافعي وكان يقول اذا رايت احدا من اصحاب الحديث كاني رايت رجلا من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من
لم يتغن بالقرآن اي يتحزن به ويترنم به وكان اذا اشترى جارية يشترط عليها
ان لا يقربها لانه كان عليلا دايما وكان يقول من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه
وكان يقول لا بد للعالم من ورد من اعماله يكون بينه وبين الله تعالى وكان
يقول احذر الاعور والاحول والاعرج والاحدب والاشقر والكوسج وكل من
به عاهة في بدنه فان فيه التوا ومعاشرته عسرة وكان يقول اظلم الظالمين
لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه
وله نظم اكثره حكم فمن ذلك قوله

أمت مطامعي فأرحت نفسي • فان النفس ما طمعت تهون •
واحييت القنوع وكان ميتا • ففي احيائه عرضي مصون •
اذا طمع يحل بقلب عبد • علته مهانة وعلاه هون •

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)